الدفاع عن الدعاة

الشيخ العلامة عبدالله الجبرين

موقع الصحوة
http://www.sahwah.net

فضيلة شيخنا العلامة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين، سؤال يُطرح يقول ما رأيكم فيمن يقول أن خطر الشيخ سلمان والشيخ سفر على الدعوة السلفية أخطر من فرق الضلال والمنحرفة ؟.

بسم الله الرحمن الرحيم.. الحمد لله والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وصحبه.. وبعد
فهذا القول لا يصدر من إنسان عاقل يعرف هؤلاء العلماء ويعرف الحق ويعرف الدعاة إلى الحق وإنما يصدر من جاهل بالحقائق أو من عدو للحق وللدعوة وللدعاة إلى الحق .

وما ذاك إلا أن هؤلاء الدعاة اشتهروا فيما بين الناس بالدعوة إلى الله وانتشرت مقالاتهم ومؤلفاتهم وأشرطتهم في أرجاء المعمورة وانتفع بنصائحهم وبمواعظهم الخلق الكثير .

ولا شك أن هذا دليل على عدالتهم ومحبتهم للحق ومحبة الناس لهم ، وإن لهم إقبالا على السنة، وللناس إقبال على دروسهم وعلى محاضرتهم وعلى أشرطتهم ، ولم يلاحظ عليهم والحمد لله ما يخل بعقيدتهم ولا ما يقدح في ديانتهم ولا ما يُرى أنه ضرر على الأمة في مجتمعهم .

ولكن هؤلاء الذين ابتلوا بالطعن فيهم، لا شك أن الذي حملهم على ذلك إما تجاهل بالحقائق الظاهرة الواضحة، وإما عداوة للحق، وإما حسدا لهم على مكانتهم وشهرتهم التي نالوا بها هذا العلم وهذه الشهرة .

هؤلاء المشايخ معروفون والحمد لله أنهم في هذه البلاد من أهل العقيدة السلفية، ولهم عدة دروس في العقيدة، ولهم محاضرات ولهم جلسات يجلسونها ويجتمع عليهم الخلق الكثير من الشباب، ولهم مؤلفات ونشرات ولم يلاحظ عليهم شيء من البدع، ولكن يلاحظ عليهم أنهم يحاربون البدع ويحاربون الدعاة إلى الضلال ويشهرون بهم ويفتكون فتكاً واضحاً بمن هو مبتدع أو داعية إلى البدع، وحذروا مستنفرين من النصارى وبينوا أساليبهم في دعوتهم إلى ضلالهم، وحذروا أيضاً من العلمانيين الذين يدعون إلى التفريق بين الإسلام وبين المسلمين والتفريق بين شعائر الإسلام وبينوا أخطائهم وأخطارهم، لأجل ذلك ثار عليهم هؤلاء العلمانيون وأتباعهم الذين انخدعوا بهم وظنوا أنهم دعاة سوء ، وما علموا أنهم من أنصح الخلق للخلق، وأنهم والحمد لله معروفون بمحبتهم للخير وبنصحهم له و بإرشادهم للخير، ومعروفون أيضاً بما وهبهم الله تعالى من فصاحة ومعرفة وفقه وتقص للحقائق وإدراك للوقائع التي يخاف منها ويحذر منها، فهم يحذرون من كل خطر يهدد كيان الأمة ، يحذرون من الأخطار التي ينصرها أعداء الدين وكل نشرة فيها شي من الدعوة إلى الباطل يبنونها ويحذرون منها .

ولما كانوا مخلصين ومعهم صراحة في الجهر بالحق وفي بيانه بأسلوب واضح لا غبار عليه وفي التنبيه على الوقائع التي يحذر من الوقوع فيها ويخاف منها ولها ضرر على العقيدة وعلى الأعمال وفيهم هذه الجرأة على الحق، أبغضهم هؤلاء العلمانيون

وأشباههم، فعند ذلك نصبوا لهم العداوة وصاروا يحذرون منهم ويتقربون بذلك إلى رؤسائهم أو إلى من يكون على نهجهم و طريقتهم ويجمعون أخطاء لا حقيقة لها ويجعلون الحبة قبة ويجعلون الخطأ اليسير خطأ كبيراً .
ولاشك أن هذا من مساوئ أهل الضلال والعياذ بالله وهم الذين يتتبعون الزلات ويحملون الكلام ما لا يحتمل .
وبكل حال الواجب علينا أن نحسن الظن بالدعاة إلى الله تعالى وأن نحبهم و أن نتقرب إلى الله تعالى بمحبتهم .

أحسن الله إليك يا شيخ ، سؤال يقول ماذا تقولون فيمن يقول أن الشيخ سلمان العودة فرق بين الفرقة الناجية والطائفة المنصورة بدون دليل وإنما هو إتباع لهوى محض وهل هذا التفريق من أمور العقيدة التي تخرج صاحبها من منهج السلف ؟

يمكن أنه فرق في رسالته بين الطائفة المنصورة و الفرقة الناجية وكذلك اعتمد على الأحاديث وذلك لأنه ورد قول النبي صلى الله عليه وسلم (لا تزال طائفة من أمتي قائمة على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله) فهذا حديث فيه أن هذه الطائفة أنها قائمة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم.
و هناك حديث آخر قال صلى الله عليه وسلم (ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعون فرقه كلهم في النار إلا واحده) فهذه الفرقة هي الفرقة الناجية.
وبكل حال فهو رأى أن الفرقة الناجية من الفرق الضالة التي هي ثلاث وسبعون أنهم أهل الحديث والذين قاموا بالسنة ونصروها، وان الفرقة الناجية هي التي تستمر وينصرها الله تعالى فرقة قائمة منصورة.
ويمكن أنه جعل هؤلاء هم أهل الحديث وهؤلاء هم أهل الجهاد الذين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم وكلهم على الحق.
وإذا فرق بهذا الاجتهاد فلا يكون هذا طعن في العقيدة وإنما هو اعتماد على هذا الدليل وليس من خالفه بدليل قاطع، وبكل حال لا يمنع أن تكونا فرقتان ولكن منهجهما واحد ومسلكهما واحد وكلاهما واحد ، هؤلاء يشتغلون بعلم الحديث ومتخصصون به كما

تخصص فريق من العلماء بعلم الحديث كالإمام احمد و غيره، وهؤلاء متخصصون بالجهاد ونصر الله تعالى كما تخصص بذلك عبدالله بن المبارك ومن كان معه من الذين اشتهروا بالجهاد ويكون هدفهم جميعا واحدا .

ولا مانع أنهم جميعا من أهل الدين و أنهم من الناجين ، ويكون هؤلاء لهم هدف وهؤلاء لهم هدف .

ولا يكون في التفريق بينهما قدح في العقيدة ولا قدح في الأسلوب أو في السلوك .

ولم يكن اعتماده في هذا التفريق على الهوى وإنما هو على الدليل حيث أن الرسول سمى هولاء الناجية وهولاء سماهم المنصورة.

والنصر يدل على أنهم يلاقون الأعداء فينتصرون وينصرهم الله تعالى.

والنجاة تدل على أنهم لهم مسلك سلوكه ونجوا به من البدع والمحدثات..

و بكل حال التفريق على الجمع ليس من المسائل التي يضلل بها.

أحسن الله إليك يا شيخ، سؤال يطرح يقول هل البدع الغير مكفرة متفاوتة ؟ وما توجيه التعامل مع أصحابها ؟

لا شك أنها متفاوتة، فالبدع منها ما يكون بدعا في العقيدة ومنها ما يكون بدعا في الأعمال ولاشك أن بدع العقيدة أشد من بدع الأعمال.

البدع التي في العقيدة ولا يكفر بها مثل بعض المذاهب كالجبرية لم يكفرهم السلف، والخوارج أيضا لم يكفرهم علي بل قال من الكفر فروا، وقال هم إخواننا بغوا علينا.. وكذلك المرجئة الذين غلبوا جانب الرجاء لم يكفرهم السلف ولم يخرجوهم من الملة، واختلفوا في بدعة المعتزلة والجهمية وأكثر العلماء على إخراج الجهمية - والجهمية من فرق الأمة - وأما عموم المعتزلة فلم يكفروهم وكذلك لم يكفروا الأشاعرة .. ولاشك أن هناك فرق كبير بين اعتقاد الأشاعرة واعتقاد المعتزلة و بعد المعتزلة عن مذهب أهل السنة في أغلب معتقداتهم، فلأجل ذلك لا نقول أن البدع

على حد سواء بل منها ما هو قريب ومنها ما هو بعيد ومنها ما هو أبعد .

أحسن الله إليك يا شيخ، يقول هل يسوغ لشخص أن يقوم بتبديع طالب علم عرف وانتشر خبره أنه من أهل السنة والجماعة وزكاه عدد من المشايخ والعلماء بسبب وقوعه في خطأ أو أكثر من ذلك ؟

لا يجوز ذلك لان العالم إذا حمل العلم الشرعي الصحيح وعمل به ودعى إليه وألف فيه وكتب فيه واشتهرت منزلته فيما بين الناس وزكاه طلبة العلم وكبار العلماء وشهدوا بأنه على الحق وبأنه من أهل الحق ولم يذكر عنه ما يسيء سمعته ولا ما يقدح في عدالته فالذي يطعن فيه لا يضره طعنه وينطبق عليه قول الشاعر:

كناطحٍ صخرةً يوماً ليوهنَها.....فلم يَضِرْها وأوهى قرنَه الوعِلُ

فلا يضر السحاب نبح الكلاب ومثل هذا اللي يطعن في علماء مشهورين لهم مكانتهم ولهم سمعتهم لا يؤبه له ولا يلتفت إليه ولا يضره ما يلفقه من الأكاذيب ولا ما يجمعه من الأسطر والتي يأخذ مقاطع منها ويطعن في كل كلمة لها احتمالات ولا يبين ما قبلها ولا ما بعدها، فيكون كالذي يأخذ شطر الكلمة ويطعن بها ويترك بقيتها، معلوم لو إن إنسانا لو اقتصر على أول كلمة الإخلاص لكفر حتى يأتي لآخرها فلو اقتصر على كتابة لا إله وأخذ يكررها لقلنا له "أنك كافر"، فكذلك الذي يقتصر على قطعة من جملة فيقول إن هذا معنى كلامه الآن وانه ضل بسبب هذا، فنقول له أخطأت فلو انك أتممت الجملة المناسبة فهمت ما يقوله، ونقول انك أخطأت أيضا فلو انك أخذت جميع كلام هذا العالم لوجدت انه لا يقصد ما تريده، وأيضا في هذا الشريط أو هذا الكتيب ما يزيل اللبس وما يوضح المقصد.. والذي يأخذ قطعة خاصة يجعلها مطعنا لا شك أنه ممن يتتبع العثرات و يحمل الكلام ما لا يحتمله فلا يؤبه له ولا يلتفت إلى قوله، ويكون الذي حمله على ذلك مثل الذي حمل اليهود على إنكار النبوة وهم يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبنائهم ولكن كما قال الله تعالى : (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) ، وكما قال تعالى (حسدا

من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق) .. فلا يلتفت إلى مثل هؤلاء الذين حملتهم شهرة هؤلاء العلماء ومكانتهم ولم يحصل لهم مثلها و أرادوا بذلك أن يكون لهم أتباع وأن يقال - كما يقال – "خالف تعرف " وان يكونوا مخالفين حتى يظهر لهم المكانة وهذه الشهرة في الناس !! ومع ذلك والحمد لله فإنه لم يؤثر كلامهم إلا في غوغاء الناس وفي جهلتهم الذين لا يؤبه لهم ..

سؤال كذلك يقول : ما كيفية التعامل مع شباب نهجوا منهج التشهير والطعن وإظهار السلبيات فقط لبعض الدعاة وطلبة العلم الذي زكوا من عدة مشايخ بحجة أنهم مبتدعه ولا نذكر حسناتهم بل نذكر سلبياتهم للتحذير منها ..

كما ذكرنا فيما سبق أن هؤلاء قد ضلوا سبيلا وقد أخطئوا في فعلهم هذا، حيث أنهم لا يذكرون الحسنات بل يقتصرون على السيئات، ثم إذا نظرنا في تلك السيئات لم نجدها سيئات كما يزعمون بل هي حسنات واضحة لا يمكن أن تكون سيئة واضحة فيها ضرر على مسلم ملتزم بالإسلام أبدا .
ولم نسمع في محاضرة أو في كتاب لهؤلاء الدعاة مقالة واضحة فيها ضرر على مسلم لا في عقيدته ولا في عمله ولكن هؤلاء الذين يزعمون أنهم يحذرون من الأخطاء أو من السيئات لا ندري كيف عثروا على تلك السيئات ! فهم بالحقيقة يحملون الكلام مالا يحتمله ويحملون الجملة على محمل بعيد جدا و يتكلفون في الطعن على تلك الجملة ولو كانت بعيدة عن ما يقصدونه، وقد ثبت عن بعض السلف أنه قال: لا تظن بكلمة خرجت من أخيك شرا وأنت تجد لها في الخير محملا، فإذا كانت تلك الجملة محتملة لعشر احتمالات منها احتمال حق والبقية احتمالات خاطئة حملناها على العاشر الذي هو احتمال حق وعملنا ذلك لإحساننا الظن بقائلها ولمعرفتنا بأنه لا يقصد إلا نصح الأمة ولا يقصد إلا التحذير من الأضرار التي تفتك بالأمة والتي إذا تمكن أهلكها أضروا بالعالم الإسلامي عامة وبهذه الدولة خاصة ولكنهم لا يفقهون ذلك .

و على كل حال نقول لهؤلاء هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين، نحن معكم على أن تأتوا بالكتاب كله ونبين لكم خطأ ظنكم وبعد

إدراككم، وكذلك هاتوا بالأشرطة كلها ونبين لكم أن في ما قبل هذا الكلام وما بعده ما يثبت أنكم فهمتم خطأ .
ثم أنتم تخطئون خطأ آخر وهو كونكم تكتمون الحق وتكتمون المحاسن وتكتمون الفضائل ولا تنشرون حسنة من الحسنات و تقتصرون على المساوئ التي تظنونها مساوئ وهي بعيدة عن ما ظننتم . و يجب على العاقل المنصف أن يذكر الحسن والسيئ و يذكر هذا إلى جانب هذا حتى لو قدر أن هذا سيئ وأنه - مثل ما يقول - ظن أو خطأ أو بعيد عن الصواب ذكر الأمرين جميعا، فقال هذه محاسنه وهذه مساوئه فيبينوا ماله وما عليه، وأهل الإنصاف وأهل السنة يذكرون مالهم وما عليهم، وأما أهل الضلال وأهل الباطل فإنهم يقتصرون على مالهم يذكرونه ويوضحونه ويبينونه ويشرحونه وأما الذي عليهم فإنه يكتمونه كمثل اليهود الذين عابهم الله بقوله {وتكتموا الحق وأنتم تعلمون }
ونعلم أيضا أن الإنسان ليس بمعصوم من الخطأ وأنه عرضة له ولكن يجب إذا لوحظ عليه خطأ أن يبحث معه ويقال أنك أخطأت في كذا وكذا فيبين له .
ونحن نعترف أن هؤلاء المشايخ والدعاة إذا أوقفوا على خطأ لابد أن يرجعوا إليه لأن هدفهم الحق وقصدهم الذي قصدوه مقصد صالح حسن إن شاء الله، ونعرف أيضا أنهم مجتهدون والمجتهد له أجر على اجتهاده وإذا قدر أن لهم خطأ فإنه مغفور لهم بجانب حسنتاهم التي اشتهرت والتي ظهرت للعالم عموما في أرجاء البلاد، فتغفر زلته بجانب تلك الحسنات فإن الحسنات يذهبن السيئات .
وثبت أنه صلى الله عليه وسلم قال: (إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر على اجتهاده ، وإذا اجتهد فأصاب له أجرين).. فهم مجتهدون فإن أصابوا فأجر الإصابة وأجر الاجتهاد موفر لهم إن شاء الله، وإن أخطئوا فخطأ مغفور ولهم أجر على اجتهادهم ، ونعتقد أنهم إذا بين لهم أن هذا خطأ فلا بد أن يعودوا للحق .
فنقول متى وقفتم معهم على المجادلة وبينتم لهم أنتم أيها الذين تضللونهم وتطعنون فيهم ؟
هل اجتمعتم بهم في مجلس وناقشتموهم وقلتم هذا خطأ ؟
هل اجتمعتم أيضا بغيرهم ممن هو على نهجهم وناقشتموهم؟ أم أن مكانكم في مجالس العامة وتشهرون بأخطائهم وتحذرون منهم وتشهرون بأسمائهم وبأنهم ضلال وبأنهم وأنهم...! إنكم لن

تصلوا إلى عشر من أعشار ما وصلوا إليه ولا حظ لكم في المنزلة التي أنزلهم الله إياها من المكانة في نفوس الناس، ولكن استروا أنفسكم كما يقول بعضهم:

ثكلتكم أيا أجهل الناس فاستروا ********** مخازيكم ولا تكشفوها فتشتهر
متى كنتمُ أهلاً لـكل فضيلةٍ ********** متى كنتم حربا لمن حاد أو كفر
متى جزتمُ رأس الـعدو بفيلقٍ ********** وقنبلةٍ أو مـدفع يـقطع الأثر
تعيبون أشياخاً كـراماً أعزة ********** جهابذة نور البصيرة والـبصر
فهم بركات للبلاد و أهلها ********** بهم يدفع الله البلايا عن البشر

أحسن الله إليك يا شيخ سؤال آخر يقول ما رأيكم في الدروس الخصوصية التي تقام في بعض البيوت ويدرس فيها أحاديث الرسول الصحيحة والسبب في ذلك أن الكثرة أحيانا لا تساعد على حفظ هذه الأحاديث خاصة إذا كانت جلسة عامة هل في هذا مخالفة في منهج السلف الصالح ؟

لا محظور في ذلك والحمد لله، والإنسان يفعل ما يناسبه وما يجده أقرب إلى فهمه والى حفظ عقله، فإذا رأى أنه إذا درس في منزل احد العلماء أو اجتمع هو وزملاؤه في منزل أحد المشايخ أو اجتمعوا يدرسون فيما بينهم و أن ذلك أقرب إلى فهمهم وادعى إلى نشاطهم وإلى حفظهم وإلى مباحثاتهم و مناقشاتهم وأن الاجتماع في الحلقات الكبيرة التي يجتمع فيها خلق كثير لا يتمكن من السؤال عما يريد فلا يتمكن من البحث ولا من الفهم غالبا لكثره الناس فيفعل ما هو أنسب له ، والإنسان يعرف طاقة نفسه.

أحسن الله إليكم سؤال آخر يقول ما رأيكم في المكتبات الخيرية خاصة أن القائمين عليها معرفون بالاستقامة والمنهج الصحيح و هل هي تخالف المنهج الصالح ؟

سبحان الله.. لا يقول هذا عاقل، المكتبات الخيرية إذا كان قائمون عليها أهل السنة والجماعة فإنهم يأتون بالمؤلفات المفيدة التي تتناول عقيدة السلف وكذلك يأتون بما يرغب بالأعمال الصالحة وفي فضائلها وكذلك الكتب التي يأتون بها و يحثون عليها كتب الأخلاق وكتب الآداب التي ترغب بالخير وتحذر من الشر. فلا يقول عاقل أنها تخالف منهج السلف فالسلف دائما يحثون على ما يقوي الإيمان وعلى ما يكون سببا في زيادته.

هل يجوز التحذير منهم ومن مجالستهم أو الأفضل النصيحة لهم؟ وما توجيهكم بهذا الشأن..

نحتاج الأمرين جميعا نصيحتهم وإرشادهم وبيان أخطائهم، هذا هو الواجب ولكن إذا أصروا على الخطأ و استمروا عليه فيطلب محاكمتهم وعند ذلك يتبين الحق الذي نقصده إن شاء الله.

يا شيخ جاء رجل من المدينة المنورة واسمه " تراحيب الدوسري " وأخذ يتكلم على بعض المشايخ وكتبهم ويقول أنهم ليسوا على منهج سليم ، ولكنه لم يبدع أو يكفر أحدا منهم .. فما رأيكم ؟

من المؤسف أن هؤلاء الذين يعيبون الدعاة لم يشاركوا في الدعوة ! فنقول لهم قوموا بالدعوة كما قاموا بها أو كما قاموا بنصفها أو بجزء منها حتى يعرف الناس استقامتكم ويعرفوا ما تقومون به من هذه الدعوة، وأما كونكم تؤلفون هذه النسخ وتبيعونها وتربحون فيها قصدكم أن تثلبوا أعداءكم الذين هم أهل الحق وأهل الخير, فلا شك أن هذا هو عين الخطأ.. وبكل حال من عاب الدعاة فليقم مقامهم بالدعوة فلينصب نفسه معلما ومدربا وداعيا إلى الله وليتولى خطابة ويلقي محاضرات وليشترك في

الندوات وليقم بواجبه الذي هو واجب الدعوة وليكن له منزلة راقية عند الناس بفصاحته وبيانه الذي أوتيه ولا يقتصر على أن يثلب في المجالس ولا على أن ينشر هذه الكتيبات الذي يطعن بها أو يضلل بها الدعاة, فإذا لم يفعل ولم يقم بهذه الدعوة فلا حظ له في الإقبال ولا في التقبل ونحن نقول كما قال الأول :

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكمُ من.....اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

فأنتم إذا لم تقوموا بالدعوة فلا تطعنوا في الدعاة، وإن طعنتم فيهم فقوموا مقامهم وبينوا للناس الطريقة التي هي طريقه سالمة والتي هي طريقة السلف في الدعوة ونحوها, فالسلف يسلكون مسالك في الدعوة إلى الله تعالى فمنهم من يجلس الحلقات الواسعة التي يجتمع فيها خمسه آلاف أو غيرها كما كان مجلس أبو بكر بن أبي شيبة عندما يجلس يحدث أو يعظ وكذلك مجالس الإمام ابن الجوزي رحمه الله وكان يعظ و يجلس حوله عشرات أو مئات أو ألوف ومع ذلك ليس هناك مكبر ومع ذلك كلهم يستمعون إليه ويجلس في المواعظ والتعليم وفي الحكم ومواعظه وكتبه موجودة, فمتى كانت الحلقات هذه أو المحاضرات أو التنبيه على المحذورات أو نحوها متى كانت مخالفة لطريقة السلف ، السلف رحمهم الله منهم من يجاهد ومنهم ومن يتعبد ومنهم من يعلم ومنهم يعظ ويرشد ومنهم من يخطب ومنهم من يحذر وينذر ومنهم من يتصل بالولاة ونحوهم ولكل منهم منهج موافق للحق إن شاء الله ..

ومن يتتبع طريقتهم حشر معهم إن شاء الله ..

.*.*.*.*.*.*.*.*.*.*.